

البناء

الموسيقى الفارسية... روح الشرق الساحرة!



الفارابي

المغنين الفرس (اسمه نشيط الفارسي) يغني فاعجب به، فقال له سائب: أنا صنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية. وهو أول من صنع العود في المدينة وغنى مستعينا به، وفقاً لابي الفرج الأصفهاني في كتابه الأشهر «الأغاني».

إذن، فقد كان الغناء العربي الأول متن الصنعة متأثراً بالموسيقى الفارسية. وقد تأثرت الموسيقى العربية بالموسيقى الفارسية كثيراً، وربما كان تأثير الموسيقى الفارسية الأقوى والأبرز في الموسيقى العربية، خصوصاً أنّ صعود الموسيقى الفارسية ازداد ارتفاعاً مع وصول العباسيين إلى السلطة، الذين اعتمدوا على الفرس في إقامة دولتهم وإدارتها.

ربما يضيق مجال التقرير عن ذكر بعض الموسيقيين الفرس الذين آثروا الحياة الموسيقية العربية والشرقية عموماً إبان الإمبراطوريات الإسلامية المتعاقبة. لكننا نذكر هنا أن الفارابي الفيلسوف ذا الأصل الفارسي، له مؤلفات هامة جداً في الموسيقى. من كتبه المهمة جداً: «الموسيقى الكبير»، و«المدخل إلى صناعة الموسيقى».

فمؤرخين عديدين، فسانّ الفارابي هو من طور آلة القانون الموسيقية، كما قدّم وصفاً في كتبه عن آلة الرياب الموسيقية ذات الوتر الواحد، والوترين في الغفلة، كما يُعتبر أول من عرّف صناعة الموسيقى ومصطلح الموسيقى. بعض الأسماء

تشبه جداً القيثارة. وقد كانت منتشرة على نطاق شعبي كبير خلال عهد الحكم الساساني. تظهر الآلة في اللوحات الجدارية الفارسية القديمة، وقد تغير شكلها بتطور صناعتها منذ ما يقارب أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. يُعرّف على هذه الآلة في الغالب من قبل النساء، وتشهد الآن محاولات إحيائها من جديد مع الموسيقى الجديدة.

«سه تار»: وهي من الآلات الوترية التي تنتمي إلى عائلة العود. وتتكون الكلمة من مقطعين «سه» يعني ثلاثة، و«تار» تعني وتر، وهي آلة بثلاثة أوتار. أُضيف إليها وتر رابع في ما بعد. نشأت في بلاد فارس قبل انتشار الإسلام وتستخدم على نطاق واسع في جميع أنحاء إيران وآسيا الوسطى.



الموسيقيون الفرس في التاريخ الإسلامي

يُعرف عدد من الموسيقيين الإيرانيين وعلماء الموسيقى كذلك في التاريخ الإسلامي، وربما لم يخرج موسيقيون كبار من العرب مثلما خرج من الفرس. ربما بسابق تأثير الثقافة الفارسية الممتدة لسنين طويلة قبل الميلاد والتي كانت الموسيقى من الروافد الأساسية لهذه الثقافة، خصوصاً أنها كانت تستخدم في الطقوس الدينية للديانة الزرادشتية. مع فتح بلاد فارس كاملة ومع صعود الخلافة الأموية، تتشابكت الثقافات واختلطت فتأثرت ببعضها. بدأت الموسيقى الفارسية في العصر الأموي تأخذ وضعها مع انتشار المغنين والموسيقيين في قصور الخلفاء ومجالس الوزراء والمترفين.

يذكر المؤرخون أن أحد ذوي الأصول الفارسية وهو «سائب خاثر» كان مولى لعبد الله بن جعفر، كان عبد الله قد سمع أحد

معاً فمن ناحية تأثرت الإيرانية بدايات القرن عندما كانت تربطها قوسية بروسيا العسكرية أكثر

والمغرب الموسيقى الماضي علاقات بالموسيقى الروسية، بينما تأثرت بالفارابي إبان حكم الشاه. الموسيقى الإيرانية التقليدية تتداخل فيها روافد كثيرة لثقافات وحضارات أخرى. وتعتبر الموسيقى الهندية صاحبة التأثير الأكبر على الموسيقى الفارسية. فقد طلب بهرام ملك الساسانيين من ملك الهند (والد زوجته) أن يرسل معه 1200 موسيقي هندي ليتمتعوا الإيرانيين بموسيقاهم. كما أشار أبو ريحان البيروني إلى هذا التأثير. أبرز هذه التأثيرات أنّ بعض الآلات الموسيقية الهندية شائعة في الموسيقى الإيرانية كآلاتي «الغان» و«الداراي». من الناحية الأخرى، تتأثر الموسيقى الهندية كذلك بالموسيقى الإيرانية، فالتأثير بينهما كان متبادلاً. السلطان الهندي «أكبر شاه» كان في بلاطه موسيقيون إيرانيون من بينهم الموسيقي والشاعر أمير خسرو دهلوي.

كذلك، يمكننا الحديث عن التأثير الصيني بالموسيقى الإيرانية. فقد نقلت آلات إيرانية عدة إلى الصين ومنها آلتا «السورنا» و«البارات» (العود الإيراني).

الآلات الخاصة بالموسيقى الفارسية

للموسيقى الفارسية التقليدية بعض الآلات الخاصة بها. فالعود الإيراني مثلاً يختلف عن العود العربي، ونورد بعض الآلات التي اخترعت في فارس وصارت جزءاً من المخيال الموسيقي لدى الإيرانيين:

«قوبوز» (آلة العشق): يقال إنها تعتبر الآلة الأمّ لجميع الآلات الموسيقية التي يُعرّف عليها في الشرق الأوسط. وقد عُرفت منذ 500 سنة وحتى الآن باسم «آلة العشق»، وهي آلة قديمة جداً، ووفقاً لبعض وثائق علم الآثار، تعود جذورها إلى 6000 سنة تقريباً. أي أنها كانت مشهورة بين قبائل السومريين.

«الجنت»: من الآلات الوترية الموسيقية الفارسية القديمة

عبد الرحمن ناصر

هل فحّرت يوماً أن تطّلع على الثقافة الإيرانية بعيداً عن السياسة؟ الأدب والموسيقى والشعر وبياقي الفروع الأخرى في حضارة إيران التي تمتدّ لقرون طويلة من قبل ميلاد المسيح. هل تعرّفت إلى الموسيقى الفارسية أو سمعتها؟ كيف تأثرت بموسيقى حضارات غيرها وكيف أثرت في الموسيقى العربية، واشتهر في بلاد العرب موسيقيون فرس وعلماء موسيقى كالفارابي وابن سينا؟

في هذا التقرير، نأخذك في جولة مع الموسيقى الفارسية التي تنطوي على روح الشرق الساحرة الباهرة. يعود تاريخ الموسيقى الفارسية إلى آلاف السنين منذ عهد حضارة عيلام، مروراً ببياقي الحضارات التي مرّت من أرض فارس، وصارت الموسيقى ظاهرة جداً وازدهرت في عصور الساسانيين لأنها كانت في الطقوس الدينية للعبادة الزرادشتية. مما يشاع كذلك، أنّ الإسكندر الأكبر بعدما غزا بلاد المشرق أقتن بموسيقى الشرق جداً. بعض الكتاب يقولون إنّ هذا الموقف يعكس ما كانت تعاني منه الموسيقى الإغريقية مقابل ما كانت تتميز به موسيقى الشرق الساحرة. وفقاً للباحث والناقد الموسيقي الإيراني فتح الله ناصح بور، فإنّ السجلات التاريخية القديمة تؤكد وجود الموسيقى في فارس القديمة، أقدم هذه السجلات يعود إلى الألفية الخامسة قبل الميلاد. وفقاً لتلك السجلات، كانت الآلات الموسيقية الموجودة في إيران من الأقدم في العالم، وهذه الآلات هي: آلة الهارب والطبل. في فارس القديمة كانت آلة موسيقية تسمى «قوبوز» (آلة العشق)، وهي آلة تعود جذورها إلى 6000 سنة تقريباً.

العراقة والتأثير الخارجي

حتمت المنطقة الجغرافية للإمبراطوريات التي حكمت بلاد فارس عليها أن تزداد اتساعاً أو انحصاراً وفقاً للعوامل التي تحيط بها أو الزمن الذي تعيشه. فحتى هذه اللحظة ثمة علاقات ثقافية وحضارية قوية بين إيران والدول المجاورة لها. بالتأكيد هذه الصلات الثقافية بالمقام الأول تؤثر في الموسيقى الإيرانية كما تتأثر بها الموسيقى الإيرانية كذلك. كما أن موقع إيران الجغرافي يجعلها ملتقى المشرق



آلة «الجنك»



فرقة رستاك



منحوتة أثرية لموسيقى فارسي



يشوونه ويأكلون لحمه، وأما الرأس فيقتلعون وجمعته ويعملونها طاسة ويشربون بها». وفي ضواحي كيتو يصف لنا أناساً يصير لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلوهم، ولا لحى لهم، إنما بعض شعرات ثابتة في حنكهم، وأنا لأنني كنت رجلاً كامل الحية، كانوا يتعجبون مني قائلين إنني ذو شجاعة شديدة بحيث جرت تلك البلاد.

وعن دار السك في البيرو يقول: «ورحت إلى البيت الذي يسكن فيه الدنانير من قروش وأنصاف أربع وفي هذا البيت «السنكخانه» رأينا القروش مكوّمة على الأرض ويدوسونها بأرجلهم مثلما يدوسون التراب الذي لا قيمة له».

وعن كويا يقول: «هذه الجزيرة هواها مليح، وماؤها طيب، وأناسها محنون، فلما أردت أن أخرج منها حتى أتوجه إلى إسبانيا جاءني حاكمها بشاكش (البقيش أو البخشيش) تسعة صناديق سكر مع مرطباتان عربي».

استغرقت رحلته 15 سنة وثق خلالها عادات السكان الأصليين وتقاليدهم الكلداني الموصلية... السائح العربي الأول إلى القارة الأميركية

محمد محمد الخطّابي

بعد مرور 176 سنة على رحلة كريستوفر كولومبوس الاستكشافية، ركب الكلداني الموصلية ووصل إلى أميركا الجنوبية بعد 55 يوماً قضاها في المحيط الهادئ.

لقد خلف لنا التاريخ سجلاً حافلاً بأسماء أمثال هؤلاء الذين نذرنا أنفسهم لإسكتنا الغوامض والغوص وراء كل مجهول، والذين يعتبرون بحق رسلاً للإنسانية لما قدموه لها من خدمات، وما ينلوه من جود بخا عن حقائق الحياة والغايات التي لا حدود لها، لا بل للمتفرغ في أسرار الكائنات التي تدب عليها.

لا ريب أن رحلة البحث الطويلة المضنية التي بدأتها البشرية في غياب المجهول سواء في ما يتعلق بالأمكان النائية، واكتشاف قارات وسبر عوالم جديدة، لا بل تقديم معلومات حول شعوب تلك المناطق، كل ذلك يتوازي مع رحلة البحث عن أغوار المعرفة وأسرار الحكمة وحقائق العلم المذهلة.

وتعتبر رحلة كريستوفر كولومبوس للقارة الأميركية نذرة في جبين الرحلات الاستكشافية على امتداد التاريخ. إن العصر الذي أصبحنا نعيش فيه، وما يوفره لنا من وسائل الراحة وسرعة الحركة والانتقال والاتصال يقدم لنا الدليل على مدى الشجاعة التي كان يتحلى بها هؤلاء الرحالة، ومدى قدرتهم على التحمل والصبر ومجاهبة الأخطار، ومواجهة الصعاب، لا بل للموت المحقق في وقت لم يكن يتوفر فيه أي لجاج ضد أي وهدم من الأوبئة الفتاكة التي كانت منتشرة في تلك العصور.

يقول الرحالة الشريف الإدريسي المولود عام 1100 في مدينة سبتة في كتابه الشهير «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»:

لبيت شعري أين قبري ضاع في الغربة عمري لم ادع للعيش ما يشائق في بز أو حمر فإضافة إلى ابن بطوطة، والإدريسي، سَجَّل لنا التاريخ أسماءً وحالاتاً آخرين عالميين مثل ماركو بولو، وكوك، وماجلان، وكولومبوس، ونونيس دي بابوا، وإيرنان كورتيس، وفرانسيسكو بيبارو، وفاسكو دي غاما، وأبو الريحان البيروني، والقزويني، وابن سعيد المغربي والزياتي وابن جبير وابن عثمان، وسواهم.

يُذكر الأديان العربي والعالمى إذن على حد سواء بغير الرحلات منذ أقدم العصور. وقد عرف المغاربة على وجه الخصوص هذا النوع من الفن منذ زمن بعيد. ويذكر لنا ابن بطوطة في رحلته «حققة النظار في غربت الأمصار وعجائب الأسفار» قصة تدل على شغف المغاربة بالرحلات. فهو يحكي لنا أنه عندما كان في بلاد الصين التقى بمغربي آخر وهو قوام الدين السبتي البشري الذي كان قد سبقه إليها، وأقام

معاً فمن ناحية تأثرت الإيرانية بدايات القرن عندما كانت تربطها قوسية بروسيا العسكرية أكثر

الموسيقى الفارسية... روح الشرق الساحرة!